



شرح على
«القواعد الأربع»
و«الأصول الثلاثة»
و«نواقض الإسلام»
و«كشف الشبهات»

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف إلا من أراد
طبعه وتوزيعه مجاناً بعد أخذ إذن خطي من الناشر

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

سلسلة منشورات مؤسسة شبكة نور الإسلام

www.islamlight.net

شرح على
«القواعد الأربع»
و«الأصول الثلاثة»
و«نواقض الإسلام»
و«كشف الشبهات»

تأليف

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

أعد أصله

اللجنة العلمية بشبكة نور الإسلام

راجعته وقرأه على المؤلف

عبد الرحمن بن صالح السديس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على عبده ورسوله محمد وآله وسلم، أما بعد:

فهذه شروح مختصرة للشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله، على: «القواعد الأربع»، و«الأصول الثلاثة»، و«نواقض الإسلام»، و«كشف الشبهات» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، اعتنى بها الإخوة في المكتب العلمي في «شبكة نور الإسلام» كي تخرج في كتب ينتفع بها المسلمون، فأمرني الشيخ بمراجعتها، فراجعتها وصححت ما يحتاج إلى تصحيح، وعدّلت في أكثر الحواشي، وصنعت لكل رسالة فهرساً، وجعلت قائمة المراجع في آخر المجلد، ثم قرأتها عليه، فعدّل وزاد ونقص...

وها هي بين يديك في أبهى حلّة، فجزى الله الإخوة في «شبكة نور الإسلام» - وعلى رأسهم الشيخ محمد الهيدان - خير الجزاء على ما قاموا به من جهد في هذه الكتب، وعلى حرصهم واهتمامهم بتراث الشيخ وتقريبه للأمة.

كتبه

عبد الرحمن بن صالح السديس

assdais@gmail.com

١/١/١٤٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
 فقد أذنت للإخوة في «مؤسسة شبكة نور الإسلام»
 بإعداد شروحي على: «القواعد الأربع»، و«الأصول الثلاثة»،
 و«نواقض الإسلام»، و«كشف الشبهات»، للإمام المجدد محمد
 ابن عبد الوهاب رحمه الله، وقد راجعها وقرأها عليّ:
 الشيخ عبد الرحمن بن صالح السديس، وأذنت له بطباعتها.
 فجزاهم الله خيرا، ونفع بجهودهم.

أملاه

عبد الرحمن بن ناصر البراك





«شرح القواعد الأربع»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح القواعد الأربع

للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب

رحمته الله

تأليف

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

أعد أصله

اللجنة العلمية بشبكة نور الإسلام

راجعته وقرأه على المؤلف

عبد الرحمن بن صالح السديس

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فهذا شرح مختصر على رسالة «القواعد الأربع» للإمام محمد بن عبد الوهاب، ألقاه فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، في مسجد الخليفة في مدينة الرياض، رغب مؤسسه (شبكة نور الإسلام) بإعداده وإخراجه على صورة كتاب مقروء؛ ليعمّ به النفع، فكان ذلك والله الحمد والمثمة، بعد عرضه وقراءته على الشيخ.

وكان المنهج الذي سُلِّك في هذا الشرح ما يلي:

- ١ - مراجعة النص والتأكد منه.
- ٢ - تهيئته وتنسيقه ليتناسب مع الطباعة.

- ٣ - عزو الآيات إلى أماكنها من المصحف .
- ٤ - تخريج الأحاديث وذلك باختصار، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما؛ اكتُفي بموضع من ذلك، وإن كان في غيرهما فإنه يقتصر في الغالب على الكتب الستة، مع نقل ما يتيسر من كلام أهل العلم بالحديث عليه .
- ٥ - توثيق النقول .
- ٦ - ضبط المتن على طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٧ - قراءة الشرح على الشيخ؛ لتعديل أو حذف أو إضافة أو إصلاح ما يراه مناسباً .
- وفي الختام، نحمد الله أن يسّر إتمام هذا الكتاب وإخراجه لطلاب العلم؛ ليستفيدوا منه، ونسأل الله ﷻ أن يكتب الأجر لصاحبه، ومراجعته، وقارئه، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المكتب العلمي
في مؤسسة شبكتة نور للإسلام

www.islamlight.net



* قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة^(١).

الشَّحْ

الحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، أما بعد: فقد افتتح الشيخ هذه الرسالة بعد البسملة بالدعاء لطالب العلم كما هي عادته في افتتاحه لرسائله: «اعلم رحمك الله»، «اعلم أرشدك الله»^(٢). وقول الشيخ: «أسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم» توجه إلى الله وتوسل بأسمائه وصفاته، وهذا توسل إلى الله بكرمه وربوبيته للعرش الذي هو أعظم المخلوقات وأعلاها، وقد وصف الله تعالى العرش بالعظمة والمجد والكرم، قال تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ [البروج: ١٥]، على قراءة الجر^(٣).

(١) أخذ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مضمون هذا الكلام من مقدمة العلامة ابن القيم لـ«الوابل الصيب» ص ٥.

(٢) انظر مثال الأولى في: «مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان» ص ٤٧، ٦٢، ٦٤، ٩٤، ومثال الثانية في: «الأصول الثلاثة» ص ٦، و«تفسير سورة الفاتحة» ص ٢٩.

(٣) هي قراءة حمزة، والكسائي، وخلف العاشر. «التيسير» ص ٢٢١؛ و«النشر» ٣٣٩/٢.

وقول الشيخ: «أن يتولاك في الدنيا والآخرة» المراد: أن يكون وليك، ومن كان الله وليه في الدنيا والآخرة كفاه شرورهما، والله تعالى: ﴿يَعْمَ الْمَوْلَىٰ وَيَعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وهو تعالى: ﴿وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، فمن كان الله وليه فهو من المؤمنين، وقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ومن تولاه الله تعالى أصلح له أموره ويسررها له وكفاه ما يهمله، قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١].

وقول الشيخ: «وأن يجعلك مباركاً أينما كنت» المعنى: أن يجعل الله فيك بركة في أي مكان كنت، وهذا ممّا أثنى به عيسى عليه السلام على ربه، حيث قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١].

وهذا يتضمن الصلاح، فالمؤمن الصالح التقى يكون مباركاً أينما كان؛ مباركاً على أهله، مباركاً على أصحابه، لا يُسمع منه إلا القول السديد، ولا يحصل منه إلا الإحسان فتجده ليس بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء، بل هو كريم الأخلاق؛ لأن بعض الناس يكون - والعياذ بالله - شراً على جلسائه، وشراً على أهله بسوء أعماله، وقبيح أقواله.

وقول الشيخ: «وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر».

لأن الإنسان يتقلب في هذه الحياة بين هذه الأمور: نعمة ومصيبة وذنوب.

والنعمة تشمل الطاعة أيضاً؛ بل إن نعمة الإيمان والطاعة لله أعظم من النعم الدنيوية، وعلى المسلم الشكر إزاء النعم، والصبر عند المصيبة، والتوبة والاستغفار عند اقتراف الذنب، قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَكُنْ فِي سَاءِ مَقَرٍّ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(١).

فقوله: «وأن يجعلك ممن إذا أُعطي»؛ أي: إذا أعطاه الله نعمة من النعم شكرها واستعملها في طاعته ﷻ.

«وإذا ابتلي» بمصيبة صبر وحبس لسانه وجوارحه عن فعل ما لا يحلّ.

«وإذا أذنب استغفر»، وهذه الأمور كلّها أمر الله بها، وأثنى على فاعليها.

وقول الشيخ: «فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة» إي والله، من كان قائماً بالواجب عليه في كل هذه الأحوال، كان ذلك عنواناً على سعاده وتوفيق الله له.

فكن أيها المسلم شاكراً صابراً تواباً منيباً، فما أحسن هذه الدعوات الطيبة من الشيخ لطالب العلم.



(١) رواه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي رضى الله عنه.

✽ قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ :

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم؛ أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت؛ كالحديث إذا دخل في الطهارة.

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك هو معرفة ذلك، لعل الله أن يُخلصك من هذه الشبكة، وهي: الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه.

الشَّرْح

افتتح الشيخ الموضوع - كعادته - بالتوجه إلى طالب العلم، فقال: **«اعلم»** تنبيهاً وإرشاداً وتعليماً.

«أرشدك الله»؛ أي: هداك الله ووفقك للرشد، وهو: العلم النافع والعمل الصالح.

«أن الحنيفية ملة إبراهيم»؛ أي: الملة الحنيفية التي هي ملة إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ.

هي: «أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين»، المراد: أن تعبده لا تريد بالعبادة سواء، فيكون تدينك وذلُّك وخضوعك لله، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر]، ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾﴾ [الزمر: ١٤]، هذه ملة إبراهيم، وهي الملة الحنيفية التي فيها التوجه إلى الله والإعراض عن ما سواه، وهذه العبادة هي التي أمر الله بها عباده، وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾، فبيّن سبحانه أنه خلق الجن والإنس لعبادته، هذه هي الغاية والحكمة من خلق الثقلين، وقد أمر الله بذلك جميع الناس على ألسن رسله، فكل نبي يقول لقومه: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ثم نبّه الشيخ على أمر مهم، فقال: «واعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد»، فمن عبد مع الله غيره، لم يكن عابداً لله، ولا يُعتدّ بعبادته؛ لأن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد.

ثم مثل الشيخ على ذلك بقوله: «كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة»؛ أي: كما لو صلّى الإنسان على غير طهارة، فصلاته باطلة ليست صحيحة.

فإذا كان من المعلوم أن الصلاة إذا دخلها الحدث أفسدها، فكذلك العبادة إذا دخلها الشُّرك أفسدها، كالحدث إذا دخل الطهارة أبطلها، ولكن إذا كان الشرك هو الشرك الأكبر فإنه يحبط جميع العبادات؛ كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وإذا كان من أنواع الشرك الأصغر، فغاياته أن يحبط العمل الذي قارنه الرياء، ولا يحبط جميع أعماله الأخرى التي أخلص فيها لله.

وقول الشيخ: «فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها

وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، وعرفت أن أهم ما عليه هو معرفة ذلك» فإذا عرفت أن هذا خطر، فمن الحكمة والعقل أن يعرف الإنسان الأمور الخطرة التي فيها ضرر ليتّقيها، فالإنسان إذا عرف خطر الشرك اتقاه وحذره، وسأل ربّه أن يعصمه منه. أما إذا كان لا يعرف خطر الشرك، فإنه لا يبالي ولا يخاف منه، فربما وقع فيه وهو لا يدري.

وقوله: «لعل الله أن يُخلصك من هذه الشبكة» شبّه الشرك كأنه مصيدة من وقع فيه هلك، كالطائر إذا وقع في الشبكة، ثم بيّن ما هي الشبكة، فقال: «وهي: الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]» وهذا هو الشرك الأكبر.

والشرك الأكبر يتميّز بثلاث خصائص:

أولاً: أنه لا يُغفر.

ثانياً: أنه موجب للخلود في النار.

ثالثاً: أنه يحبط جميع الأعمال.

ودليل ذلك هذه النصوص؛ قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿١٦﴾ [البينة]، وقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٥﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

نسأل الله أن يقينا الشرك كله؛ ظاهره وخفيّه، وصغيره وكبيره.

قال الإمام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه».

أي: أن خطر الشرك ووجوب التخلص منه والحذر؛ يتبين بأربع قواعد، وهذه القواعد أشبه ما تكون مسائل:

* قال الشيخ رحمه الله:

القاعدة الأولى

أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرُّون بأن الله تعالى هو الخالق المدبّر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴿٦١﴾﴾ [يونس].

الشَّحْ

وقول الشيخ: «أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ»؛

أي: كفار العرب، وكذلك من سواهم، كانوا يُقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر للسموات والأرض ومن فيهنّ، ومع ذلك لم يصيروا بهذا مسلمين ولم يكونوا بهذا موحدّين، بل كانوا مشركين في العبادة، اتخذوا مع الله آلهة أخرى يخافونهم ويعبدونهم ويستنصرون بهم.

والأدلة على إقرار المشركين بهذا في القرآن كثيرة، منها ما ذكره

الشيخ وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وكذلك الأمم الماضية كانوا يُقرُّون بالربوبية لله،

كقوم نوح فقد قالوا: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون]، وعاد وشمود: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا

يَمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كُفِرُونَ ﴿١٤﴾ [فصلت]؛ ومعنى هذا أنهم يُقْرُونَ بتوحيد الربوبية، وهو أن الله تعالى هو خالق السموات والأرض ومن فيهنّ، وهو رازق العباد، وهو الذي يُدبّر الأمر، ولم يُدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يكونوا بهذا مُقَرِّين بأنه «لا إله إلا الله»، بل لما بُعث إليهم الرسول ﷺ، ودعاهم إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله امتنعوا؛ لأنهم يعرفون أن «لا إله إلا الله» تتضمن الكفر بكل معبود سوى الله، فهي تتضمن إبطال آلهتهم.

وليس معنى «لا إله إلا الله»: لا خالق إلا الله، ولكنها تتضمن هذا المعنى، ولو كان معنى «لا إله إلا الله» لا خالق إلا الله؛ لاستجاب المشركون وقالوا: نُقِرَّ بأنه لا خالق إلا الله، ولكنهم يعرفون أن معنى الإله في لغتهم هو المعبود، فيكون معنى «لا إله إلا الله» لا معبود بحق إلا الله، وأن كل معبود سوى الله فهو معبود بالباطل، فلما كانوا يفهمون معنى الكلام؛ عرفوا أنهم لو قالوا هذه الكلمة وأقروا بها كفروا بآلهتهم؛ لهذا قالوا: ﴿جَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص]، وبهذا يُعلم أنه لا يكون الإنسان موحدًا بمجرد هذا الإقرار، وليس هذا المعنى هو المقصود من «لا إله إلا الله»، كما يفهمه كثير من الناس في العصور المتأخرة، فإنهم صاروا لا يفهمون من «لا إله إلا الله» إلا توحيد الربوبية، ويقولون: معنى «لا إله إلا الله» لا خالق ولا مدبر إلا الله، وأن المقصود منها الإقرار بأن الله تعالى هو النافع الضارّ.

فكان هؤلاء جاهلين بمعنى «لا إله إلا الله» وإن كانوا يقولونها. والمشركون الأوّلون كانوا عالمين بمعنى «لا إله إلا الله»، ولهذا امتنعوا من أن يُقْرُوا بها، فكان هؤلاء كفاراً بالشرك المنافي للتوحيد، وبالتكذيب للرسول ﷺ المنافي للإقرار بأنه رسول الله.



* قال الشيخ رحمه الله:

القاعدة الثانية

أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة. فالدليل القربة قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر].

ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَعَبُدُوا اللَّهَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة، فالشفاعة المنفية ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ والدليل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة].

والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، والشافع مكرَّم بالشفاعة والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرح

القاعدة الثانية: أن هؤلاء المشركين لم يكونوا يعتقدون فيما يعبدونه: أنها تخلق وترزق وتُحيي وتميت؛ بل إن هذا عندهم لله، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وإنما كانوا يعبدون ما يعبدونه زاعمين أنها وسائط تقربهم إلى الله، ويقولون: إن الله تعالى لا يُوصَل إليه إلا بواسطة أوليائه والمقربين منه وأنبيائه وملائكته، كملوك البشر إنما يرفع حوائج الناس إليهم خاصتهم وأعوانهم ووزرائهم، فشبهوا الخالق بالمخلوق - تعالى الله عن قول المفتريين علواً كبيراً - .

وهم يزعمون أنهم إنما عبدوهم ليقربوهم ويشفعوا لهم عند الله، وذكر الشيخ دليلاً على هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لَيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، فهذا هو الحامل لهم على عبادتهم.

والدليل على أنهم أيضاً يرجون شفاعتهم قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

إذا؛ لم يعبدوهم لاعتقادهم أنهم شركاء لله في الربوبية، ولكنهم جعلوهم شركاء لله في الإلهية، ولهذا قال النبي ﷺ لحصين والدي عمران: «كم تعبد اليوم إلهاً؟ قال: سبعة، ستاً في الأرض وواحداً في السماء، قال: «فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء (١).

إذا؛ الآلهة عندهم كانت متعددة، ولكن الخالق الرازق المدبر المحيي عندهم واحد.

وذكر الشيخ أن الشفاعة نوعان:

الأولى: الشفاعة المنفية: وهي التي تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وهي التي يعتقدها المشركون، فعندهم أن الشفاعة

(١) رواه الترمذي (٣٤٨٣) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وصححه ابن القيم في «الوابل الصيب» ص ٤١١.

عند الله كالشفاعة عند المخلوق، يعتقدون أن الأولياء والملائكة يشفعون عند الله كما يشفع وزير الملك عند الملك، والصديق عند صديقه، وقد نفى الله هذه الشفاعة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، فالشفاعة التي يظنّ المشركون أنها تكون بغير إذن الله لا وجود لها يوم القيامة.

أما الشفاعة من الحيّ القادر بطلب الدعاء منه، فهذه جائزة؛ قد كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو لهم، في مطالب الدنيا والآخرة، كأن يستسقي لهم ^(١)، وأن يدعو لهم بالجنة، ولما ذكر النبي ﷺ أن سبعين ألفاً من أمته يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب قال عكاشة بن محصن رضي الله عنه: ادعو الله أن يجعلني منهم، فقال: «اللهم اجعله منهم» ^(٢)، والمسلم إذا دعا لأخيه المسلم وسأل الله له صلاح دينه ودنياه، فهو شافع له.

الثانية: الشفاعة المثبتة: وهذه الشفاعة لا تكون إلا بإذنه سبحانه، ولمن رَضِيَ عمله، وهم أهل التوحيد، وقد دلّ القرآن على إثبات هذه الشفاعة، قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمٰوٰتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِّنْ بَعْدِ أَنْ يُأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَىٰ﴾ [النجم: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ معناه: لا أحد يشفع عند الله حتى يأذن الله له، ولهذا لما تُطلب الشفاعة من الرسول ﷺ لا يبدأ بالشفاعة أولاً، وإنما

(١) أخرجه البخاري (١٠١٣)؛ ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه «أن رجلاً دخل يوم الجمعة... ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله! هلكت المواشي وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا».

(٢) رواه البخاري (٦٥٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه؛ ومسلم (٢١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: «فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمدته بها لا تحضرني الآن، فأحمدته بتلك المحامد، وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسلّ تعط، واشفع تشفع»^(١)، فالحديث دلّ على أنه لا يشفع حتى يأذن الله له.

وهذه الشفاعة تكون للرسول ﷺ، والأنبياء، والملائكة، والمؤمنين.



(١) رواه البخاري (٧٥١٠)؛ ومسلم (١٩٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

✽ قال الشيخ رحمه الله:

القاعدة الثالثة

أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر.

وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتَنَةً وَيَكُونَ الدِّينَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت].

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبَ﴾ [المائدة].

ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم].

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وَيُنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط...» الحديث (١).

الشَّحْ

مما يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا بعثه الله لدعوة الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له؛ وجد أناساً أَشْتَاتاً في عباداتهم وشركهم، كلٌّ له معبود، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم]؛ فمنهم مَنْ يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، والرسول صلى الله عليه وسلم كَفَّرَهُمْ كُلَّهُمْ، وَقَاتَلَهُمْ كُلَّهُمْ، ولم يفرِّق بينهم.

فلا نقول: هذا يعبد الملائكة، والملائكة لهم شأن وفضل؛ لا، بل كلٌّ من عَبَدَ مع الله غيره فهو مشرك كافر، فإن العبادة حقٌّ لله لا يجوز صرفها لغيره؛ لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩]؛ أي: حتى لا يكون شرك، فأمر الله بقتال الكفار كلَّهم دون فرق.

ثم ذكر الشيخ الآيات التي تدلّ على وجود الشرك بهذه الأشياء، فقال: «**فدليل الشمس والقمر**»؛ أي: الدليل على أن بعض الناس عَبَدَ الشمس والقمر، قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴿٤٠﴾﴾، فمنه عن

(١) رواه أحمد (٢١٨/٥)؛ وصححه الترمذي (٢١٨٠)؛ وابن حبان (٦٧٠٢).

السجود للشمس والقمر، وأمر بالسجود لله الذي خلقهنّ، فهو تعالى المستحقّ أن يُعبد؛ لأنه خالقهما، وقال الهدهد في شأن بلقيس: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤].

والدليل على أن بعض الناس عبّد الملائكة والأنبياء، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا المَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠)، فهذا دليل على أن من المشركين من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء.

والدليل على أن من الناس من عبّد بعض الأنبياء والصالحين، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبِي سَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الغُيُوبِ﴾ (١٦٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ، فهذه الآية فيها دلالة على الشرك بالأنبياء، فعيسى عليه السلام نبي، وفيها دلالة - أيضاً - على وجود الشرك بالصالحين، فإن أمه من الصالحات.

والدليل على أن من الناس من يعبد الصالحين، قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ؛ فهؤلاء المعبودون المدعوون من دون الله هم يدعون ربهم ويبتغون إليه الوسيلة، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، فكيف تعبدونهم من دون الله!؟

وقد قيل: إنها نزلت في الذين كانوا يعبدون الملائكة وعزيراً والمسيح^(١)، وقيل: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجنّ، فأسلم الجنّ، وتمسك هؤلاء بدينهم^(٢).

(١) «جامع البيان» ١/٩، ص ١٠٤، من قول ابن عباس عليه السلام.

(٢) صحيح البخاري (٤٧١٤) من قول ابن مسعود عليه السلام.

والدليل على أن من الناس من يعبد الشجر والحجر، قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٦﴾ وَمَوَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾، والعزى: شجرة، وقيل: ثلاث سمرة في وادي نخلة.

ومناة: صنم بقديد تعظمه الأوس والخزرج.

واللات: صخرة بيضاء منقوشة بالطائف، وعليها بيت له أستار وسدنة، وقيل: كان اللات رجلاً يُلْتَسَمُ سويق الحاج، فلما مات عكفوا على قبره^(١).

والدليل من السنة على عبادة الأشجار، حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين؛ أي: حين خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى حنين لقتال هوازن، قال: «ونحن حدثاء عهد بكفر»؛ أي: أن عهدهم بالكفر قريب؛ لأنهم من مسلمة الفتح، قال: «وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط»؛ أي: اجعل لنا سدرة نوط بها أسلحتنا - والنوط: التعليق^(٢) - وتبرك بها، وذلك لجهلهم، ولقرب عهدهم بالكفر لم يتخلصوا من جذوره وأصوله، ولذا أغلظ الرسول لهم في الكلام، فقال صلى الله عليه وسلم: «قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم»، لينزجروا ويحذروا، ويعرفوا أن ذلك شرك وباطل.



(١) «جامع البيان» (٣/١٣) ص ٥٨.

(٢) «لسان العرب» ٤١٨/٧.

* قال الشيخ رحمه الله:

القاعدة الرابعة

أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء، ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت].

تمت، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم.

الشرح

معنى هذا: أن الشرك بعضه أغلظ من بعض، وبعضه أقبح من بعض، والكفر أيضاً يتفاوت، فالملاحدة الجاحدون أغلظ كفراً من المُقرِّين بربوبيته ﷻ، وإن كانوا مشركين، والذي يدعو إلى الكفر ويصد عن سبيل الله أغلظ كفراً من الذي لا يدعو وكفره قاصر على نفسه.

ومشركو زماننا أغلظ شركاً من المشركين الأولين، ووجه ذلك أن الأولين كانوا يشركون في الرخاء؛ أي: في حال السعة والطمأنينة، ولكن الغالب عليهم أنهم يخلصون في الشدائد، وهذا هو الذي حكاه الله عنهم في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرٍ مَبْرَجٍ طَبَّعَ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ

لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٦﴾ [يونس]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٧٧﴾ [الإسراء].

أما مشركو زماننا، فشركهم دائم - أعوذ بالله - في الرخاء وفي الشدة؛ بل لعلهم في الشدة أشدّ شركاً منهم في الرخاء، وهذا يدلّ - والعياذ بالله - على شدة تعلقهم بمعظمتهم ومعبوديهم، وهذا هو المشهور عن المشركين من المنتسبين للإسلام - كالرافضة - فيذكر عنهم أنهم في الشدة أكثر استغاثة بعليّ والحسين عليهما السلام، وكذلك القبوريون، كعباد البدوي وأشباههم في مصر وغيرها، إذا اشتدّ بهم الكرب نادوا من يألهونه من أولئك الموتى.

وذكر الشيخ رحمته الله في «كشف الشبهات» وجهاً آخر من غلظ شرك المتأخرين، وهو: «أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقرّبين عند الله؛ إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً مطيعة لله وليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح - أو الذي لا يعصي - مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به»^(١)، بل إن منهم الكافر والملحد، كابن عربي الطائي رأس الاتحادية، فهناك من يغلو به ويؤلّفه!

ولا شك أن الذي يغلو في من تعظيمه ومحبته لها أصل في الدين، كالملائكة والأنبياء والصالحين؛ أخفّ ضللاً وشركاً ممن يغلو في بعض الفاسقين أو الملحدين، وهذا يدلّ على عظم ما وصل إليه الأمر من تغلغل الشرك في الأمة.

(١) انظر ص ٦٧ من «شرح كشف الشبهات» في آخر هذا المجلد.

والشيخ يريد المشركين من المنتسبين للإسلام، كالرافضة والصوفية القبورية، الذين اتخذوا بعض القبور أوثاناً يحجّون إليها ويطوفون بها ويستغيثون بأهلها من قُربٍ ومن بُعدٍ وفي الشدائد - نسأل الله السلامة والعافية - .

فعلى المسلم أن يخاف الشرك، ويسأل ربّه أن يعصمه منه كله؛ لأن الشرك غلب على كثير من الخلق من الأولين والآخرين، ولهذا قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ [إبراهيم].

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد.

الفهرس

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
* مقدمة التحقيق وطريقة العمل في الإخراج	٥
* مقدمة الشارح	٧
وصف الله تعالى العرش بالعظمة والمجد والكرم	٧
الحنيفية هي ملة إبراهيم <small>عليه السلام</small>	١٠
العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد	١١
الشرك إذا خالط العبادة أفسدها	١١
الشرك الأكبر يتميز بثلاث خصائص	١٢
* القاعدة الأولى	١٤
* القاعدة الثانية	١٦
الشفاعة نوعان: منفية ومثبتة	١٧
* القاعدة الثالثة	٢٠
* القاعدة الرابعة	٢٤
* الفهرس	٢٧